

﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝١٨﴾ وَالطَّيْرَ

مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ۝١٩﴾ [ص: 18 - 19]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

في الآية السابقة أَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ بالاعتداء بدَاوودَ ﷺ في الصَّبْرِ، وفي هاتين الآيتين بيانٌ لبعضِ فضائلِ دَاوودَ ﷺ، وإنعامِ الله تعالى عليه بِنِعَمٍ جعلته مُؤَيِّدًا وقويًا.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿سَخَرْنَا﴾: (سخر) أصلٌ يَدُلُّ على التَّذْلِيلِ والاحتِقَارِ والاستِذْلالِ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُنَا: سَخَّرَ اللَّهُ ﷻ الشَّيْءَ، وَذَلِكَ إِذَا ذَلَّلَهُ لِأَمْرِهِ وَإِرَادَتِهِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجاثية: 13]. وَيُقَالُ رَجُلٌ سَخَّرَهُ: يُسَخِّرُ فِي الْعَمَلِ، وَسَخَّرَهُ أَيضًا، إِذَا كَانَ يُسَخِّرُ مِنْهُ. وَيُقَالُ: سَفُنٌ سَوَاحِرُ مَوَاحِرَ. فَالسَّوَاحِرُ: الْمُطِيعَةُ الطَّيِّبَةُ الرِّيحِ، وَالْمَوَاحِرُ: الَّتِي تَمَخَّرُ الْمَاءَ وَتَشْقُهُ⁽¹⁾. وَالتَّسْخِيرُ: سِيَاقَةٌ إِلَى الْغَرَضِ الْمُخْتَصِّ قَهْرًا، فَالْمُسَخَّرُ هُوَ الْمُقْبِضُ لِلْفِعْلِ، وَالسُّخْرِيُّ: هُوَ الَّذِي يُقَهَّرُ فَيَتَسَخَّرُ بِإِرَادَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [التَّحْرِيفُ: 32]. وَالْمَرَادُ بِهِ فِي الْآيَةِ: جَعَلَ الْجِبَالَ مُطِيعَةً لِأَمْرِهِ، وَمُنْقَادَةً لِتَسْبِيحِهِ؛ إِذْ تُشَارِكُهُ التَّسْبِيحَ وَالتَّمْجِيدَ لِلَّهِ تَعَالَى.

(2) ﴿بِالْعَشِيِّ﴾: (عَشَوَ) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى ظَلَامٍ وَقِلَّةٍ وَضُوحٍ⁽²⁾. وَالْعَشِيُّ: النَّهَارُ مِنْ زَوَالِ الشَّمْسِ إِلَى الصَّبَاحِ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ هُنَا، أَوْ مِنَ الظُّهْرِ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ، أَوْ صَلَاةِ الْعَصْرِ، أَوْ آخِرِ النَّهَارِ، وَالْعِشَاءُ: هُوَ أَوَّلُ ظَلَامِ اللَّيْلِ. وَعَشَوَاءُ اللَّيْلِ: ظَلَمَتْهُ.

(3) ﴿وَالْإِشْرَاقِ﴾: (شَرَقَ) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى إِضَاءَةٍ وَفَتْحٍ⁽³⁾. وَالْإِشْرَاقُ: مُصَدَّرُ أَشْرَقَتْ الشَّمْسُ، أَي: أَضَاءَتْ، يُقَالُ: شَرَقَتْ الشَّمْسُ شُرُوقًا: طَلَعَتْ، وَأَشْرَقَتْ: أَضَاءَتْ، وَشَرِقَتْ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سخر).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عشو).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شرق).

- بِالْكَسْرِ - أَخَذَتْ وَدَنْتَ لِلْغُرُوبِ⁽¹⁾. والإشراق: وَقْتُ إِشْرَاقِ الشَّمْسِ وَسُطُوعِهَا وَصَفَاءِ ضَوْئِهَا، وهو وَقْتُ صَلَاةِ الضُّحَى، وهو غَيْرُ الشُّرُوقِ؛ لِأَنَّ الشُّرُوقَ هو وَقْتُ طُلُوعِ الشَّمْسِ، يُقَالُ: شَرَقَتِ الشَّمْسُ: إِذَا طَلَعَتْ. والمرادُ بِ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ في الآيةِ إمَّا خصوصُ وقتيهما المُعَيَّن، أو الاستمرارُ في كُلِّ وَقْتٍ على التَّسْبِيحِ والتَّمجيدِ ما سَبَّحَ داوودُ لله تعالى.

(4) ﴿مَحْشُورَةً﴾: أي: مَجْمُوعَةٌ. وأصلُ الحَشْرِ: يَدُلُّ على السَّوْقِ والبَعْثِ⁽²⁾، يُقَالُ: حَشَرَهُمْ يَحْشِرُهُمْ وَيَحْشِرُهُمْ حَشْرًا، أي: جَمَعَهُمْ؛ وَمِنْهُ يَوْمُ المَحْشَرِ. والحَشْرُ: جَمْعُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ. والمَحْشَرُ: المَجْمَعُ الَّذِي يُحْشَرُ إِلَيْهِ القَوْمُ، وَكَذَلِكَ إِذَا حُشِرُوا إِلَى بَلَدٍ أَوْ مُعَسَّكَرٍ أَوْ نَحْوِهِ⁽³⁾. والحَشْرُ: إِخْرَاجُ الجماعةِ عَنْ مَقَرِّهِمْ، وإِزْعَاجِهِمْ عَنْهُ إِلَى الحَرْبِ وَنَحْوِهَا. ولا يُقَالُ الحَشْرُ إِلَّا فِي الجماعةِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَأَبْعَثْ فِي المَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الشَّعْرَاءُ: 36]⁽⁴⁾. والمرادُ بِهِ فِي الآيةِ: جَمْعُ الطَّيُورِ مِنْ أَكْثَانِهَا لَهُ وَمِنْ حَوْلِهِ؛ لِكَيْ تُرْجَعَ تَسْبِيحُهُ وَتَمَجِيدُهُ لله تعالى.

(5) ﴿أَوَّابٌ﴾: أي: رَجَاعٌ تَوَّابٌ، مِنْ قَوْلِهِمْ: أَبَ الرَّجُلُ إِلَى أَهْلِهِ: إِذَا رَجَعَ⁽⁵⁾. وأصلُ (الأَوَّبُ): يَدُلُّ على رُجُوعٍ. وَأَبَّ يَأْوُبُ أَوْبًا وَأَوْبَةً وَإِيَابًا. والأَوَّابُ: التَّائِبُ. والمَأْبُ: المَرْجِعُ. والأَوَّبُ: سُرْعَةُ ثَقَلِيبِ اليَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ فِي السَّيْرِ، والتَّأْوِيبُ: السَّيْرُ بِالنَّهَارِ أَجْمَعٍ، والنُّزُولُ بِاللَّيْلِ⁽⁶⁾. والمرادُ بِهِ فِي الآيةِ: أَنَّ الطَّيُورَ المَجْمُوعَةَ لَهُ تَرْجِعُ إِلَيْهِ لِتَرْجِعَ صَوْتُهُ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّنْزِيهِ لله تعالى.

❁ اللَّغْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ ذَكَرَ لِبَعْضِ فِضَائِلِ دَاوُودَ ﷺ الَّتِي أَيْدَهُ اللهُ تَعَالَى بِهَا؛ لَشِدَّةِ إِنَابَتِهِ لِرَبِّهِ وَعِبَادَتِهِ، حَيْثُ سَخَّرَ اللهُ الْجِبَالَ مَعَهُ، تُسَبِّحُ مَعَهُ بِحَمْدِ رَبِّهَا، وَتُقَدِّسُهُ وَتُنَزِّهُهُ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ، كَمَا سَخَّرَ سُبْحَانَهُ الطَّيْرَ مَعَهُ مَجْمُوعَةً تُسَبِّحُ، وَتُطِيعُ تَبَعًا لَهُ.

(1) السَّمِينُ الحَلِيبُ، عَمْدَةُ الحَقَافِطِ: (شَرْق).

(2) ابْنُ فَارَسٍ، مَقَائِيسُ اللُّغَةِ: (حَشْر).

(3) ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ: (حَشْر).

(4) الرَّاعِبُ، لِلْفُرْدَاتِ: (حَشْر).

(5) ابْنُ قُتَيْبَةَ، غَرِيبُ الْقُرْآنِ، ص: 378.

(6) الْجَوْهَرِيُّ، الصَّاحِبُ: (أَوَّب)، وَالْكَفَوِيُّ، الْكَلْبَاتِ، ص: 209.

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

دلالة الفصل في قوله: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا﴾:

عبر النظم الكريم بقوله: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ﴾، وهي جملة استئنافية مسوقة لبيان قصة داود عليه السلام، أو لتعليل قوته في الدين وأوحيته إلى مرضاته تعالى، وتقدير الكلام: اذكر فضائل داود وما أنعمنا عليه من تسخير الجبال وكَيْتَ وكَيْتَ⁽¹⁾، فتكون الجملة واقعةً بياناً لجملة: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا﴾، وهذه علة فصلها. ويحتمل أنها فصلت لـ (شبه كمال الاتصال): إذ نشأ سؤال من وصف داود بالقوة عن مصدرها ونوعها، فجاءت الجملة بياناً لمصدر تلك القوة، وهو الله تعالى، ولنوعها، وهي تسخير الجبال والطير له.

الله تعالى
مصدر القوة
والتأييد

دلالات التوكيد والإسناد (أل):

أكدت قدرة الله تعالى على تسخير الجبال مع داود عليه السلام بـ (إن)، واسمئة الجملة، وتضعيف الفعل)، وفي هذا دلالة على مطلق قدرته تعالى، وإشارة إلى أن المعجزات الحسية التي أيد الله بها رسله وأنبياءه ﷺ إنما هي بمده سبحانه وبإذنه. والتأكيد أيضاً: "لما طبع عليه البشر من إنكار الخوارق؛ لتقيده بالمألوفات"⁽²⁾، والتعبير بنون الجمع في: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا﴾ مع إيراد الفعل مُضَعَّفًا تعظيم لهذا السَّخِير، وتفخيم لشأنه. و(أل) في ﴿الْجِبَالَ﴾ للاستغراق الدال على الشمول العرفي، فكل الجبال كانت تذكر الله تعالى مع داود عليه السلام؛ اقتداءً به في عبادة الله تعالى.

البشر مجبول
على إنكار
الخوارق

نكتة التقديم والتأخير للظرف:

ذكر الله تعالى من النعم التي خص بها داود عليه السلام تسخير الجبال مُسَبَّحَةً، وقد تقيّد التسبيح بالظرف (مع)، وهو ظرف دال على

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/ 567، والآلوسي، روح المعاني: 23/ 239.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 350.

أصالة داوود
في التسبيح،
وتبعية الجبال
والطيور له في
ذلك

المشاركة، مُتَعَلِّقٌ بِالفِعْلِ «يُسَبِّحُن» ، وَلَيْسَ ظَرْفًا لِلْفِعْلِ: «سَخَرْنَا»؛
وقد قُدِّمَ عَلَى مُتَعَلِّقِهِ هُنَا وَفِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِإِرَادَةِ الْاِخْتِصَاصِ،
لَكِنَّهُ رَدَّ هُنَا مُتَأَخِّرًا عَنْ ذِكْرِ «الْجِبَالِ»، فَقَالَ: «إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ
مَعَهُ يُسَبِّحُن»؛ لِإِبْرَازِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَأَيَّدَ بِهَا، فَكَانَ ذِكْرُ الْجِبَالِ أَوَّلَ
الْأَمْرِ دَالًّا عَلَى مَوْطِنِ التَّأْيِيدِ وَالْقُوَّةِ الَّتِي جَاءَتْ الْجُمْلَةُ لِبَيَانِهَا،
فِي حِينَ تَقَدَّمَ الظَّرْفُ عَلَى الْجِبَالِ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ، حَيْثُ قَالَ:
«وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحُنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾» [الأنبياء: 79]؛
لِلْإِهْتِمَامِ بِمَعْنِيَّتِهِ الْمَذْكُورَةِ بِهِ؛ إِظْهَارًا لِكِرَامَةِ دَاوُدَ ﷺ (1).

دلالة الجملة الفعلية المضارعة:

وَقَعَتِ الْجُمْلَةُ الْفِعْلِيَّةُ «يُسَبِّحُن» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «الْجِبَالَ مَعَهُ
يُسَبِّحُن» فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِ، وَفِي هَذَا بَيَانٌ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ
لِدَاوُدَ ﷺ مِنَ الْبُرْهَانِ وَالتَّأْيِيدِ وَالْمُعْجَزَةِ، وَهُوَ تَسْبِيحُ الْجِبَالِ مَعَهُ،
أَيُّ: يُقَدِّسُنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، وَيُنَزِّهْنَهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ مَعَهُ بِصَوْتٍ يَتِمَثَّلُ
لَهُ، أَوْ يَخْلُقُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا الْكَلَامَ (2)، وَعَبَّرَ عَنِ الْحَالِ بِالْمُضَارِعِ
دُونَ اسْمِ الْفَاعِلِ (مُسَبِّحَاتٍ) الَّذِي هُوَ الْأَصْلُ فِي الْحَالِ؛ لِأَنَّهُ أُرِيدَ
الدَّلَالَةُ عَلَى تَجَدُّدِ تَسْبِيحِ الْجِبَالِ مَعَهُ كُلَّمَا حَضَرَ فِيهَا، وَلَا سَتِحْضَارِ
تِلْكَ الْحَالَةِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ مِنْ حُدُوثِ التَّسْبِيحِ مِنَ الْجِبَالِ شَيْئًا بَعْدَ
شَيْءٍ، وَحَالًا بَعْدَ حَالٍ؛ لِأَنَّهَا جَمَادٌ. وَكَأَنَّ السَّامِعَ حَاضِرٌ تِلْكَ الْجِبَالِ
يَسْمَعُهَا تُسَبِّحُ، وَيَرَاهَا فَيَتَعَجَّبُ مِنَ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ (3). قَالَ مُقَاتِلُ:
كَانَ دَاوُدُ ﷺ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ ذَكَرَتْ الْجِبَالُ مَعَهُ، وَكَانَ يَفْقَهُ تَسْبِيحَ
الْجِبَالِ (4). وَأَجَازَ الْبِقَاعِي فِي: "«يُسَبِّحُن»؛ أَنْ يَكُونَ اسْتِنَافًا؛ وَأَنَّ

للخلوقات
بأسرها خاضعة
لربها

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 228 / 23.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 567 / 4، والشوكاني، فتح القدير: 599 / 4.

(3) الزمخشري، الكشاف: 250 / 5، وشيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاوي: 188 / 7، وأبو السعود،

إرشاد العقل السليم: 567 / 4، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 228 / 23.

(4) القنوجي، فتح البيان: 377 / 16 - 378.

يَكُونُ حَالًا، بِمَعْنَى أَنَّهُنَّ يَنْقَدْنَ لَهُ بِالتَّسْبِيحِ؛ قَالَ وَحَالًا؛ انْقِيَادَ الْمُخْتَارِ الْمُطِيعِ لِلَّهِ⁽¹⁾.

نُكْتَةُ ذِكْرِ نُونِ النُّسُوءِ:

ورد الفعل المضارع مُسْنَدًا إلى نونِ النُّسُوءِ في قوله تعالى: ﴿مَعَهُ يُسَبِّحُنَ﴾؛ إشارةً إلى أَنَّهَا فوقَ مَا لَهَا مِنَ الصَّلَابَةِ، صَارَتْ فِي غَايَةِ اللَّيْنِ وَالرَّخَاوَةِ، يُسَبِّحُ كُلُّ جَبَلٍ مِنْهَا بِصَوْتٍ غَيْرِ مُشْبِهِ بِصَوْتِ الْآخَرِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَقْرَبُ إِلَى التَّمْيِيزِ؛ وَالْعِلْمُ بِتَسْبِيحِ كُلِّ عَلَى أَنْفَرَادِهِ⁽²⁾، وَلِذَا قَالَ الْبِقَاعِيُّ: "وَلَمْ يَقُلْ: (مُسَبِّحَةً) أَوْ: (تُسَبِّحُ)؛ لِبَلَا يُظَنَّ أَنَّ تَسْبِيحَهَا بِصَوْتٍ وَاحِدٍ؛ لِيُشْكِلَ الْأَمْرُ فِي بَعْضِهَا"⁽³⁾.

سِرُّ إِيثَارِ الظَّرْفِ عَلَى حَرْفِ الْاِخْتِصَاصِ:

أَوَثَرَ الظَّرْفُ الدَّالُّ عَلَى الْمَصَاحِبَةِ عَلَى حَرْفِ الْاِخْتِصَاصِ (له) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَعَهُ يُسَبِّحُنَ﴾؛ بِمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحُنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 79] مِنْ أَنَّ تَسْخِيرَ الْجِبَالِ لَمْ يَكُنْ بِطَرِيقِ التَّصَرُّفِ الْكُلِّيِّ فِيهَا إِلَيْهِ، كَتَسْخِيرِ الرِّيحِ وَغَيْرِهَا لِسُلَيْمَانَ ﷺ، بَلْ بِطَرِيقِ التَّبَعِيَّةِ لَهُ وَالْاِقْتِدَاءِ بِهِ، قِيلَ: كَانَ تَسْخِيرُهَا أَنَّهَا تَسِيرُ مَعَهُ إِذَا أَرَادَ سِيرَهَا إِلَى حَيْثُ يَرِيدُ⁽⁴⁾.

الدَّلَالَةُ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ:

يَحْتَمِلُ قَوْلُهُ: ﴿الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ﴾ الْحَقِيقَةَ؛ بِأَنَّ خَلْقَ اللَّهِ تَعَالَى الْكَلَامَ فِيهَا، وَذَلِكَ أَمْرٌ مُمْكِنٌ، حَيْثُ جَعَلَهَا تَتَكَلَّمُ عَلَى سَبِيلِ الْحَقِيقَةِ، وَفِيهَا تَشْخِصٌ لِلْجَمَادَاتِ؛ إِذْ "لِلْجَمَادِ إِرَادَةٌ؛ لِأَنَّ التَّسْبِيحَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بِإِرَادَةٍ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ

تَسْبِيحُ كُلِّ جَبَلٍ
بِصَوْتٍ غَيْرِ
مُشْبِهِ لِلْآخَرِ

تَبَعِيَّةُ الْجِبَالِ
لِدَاوُدَ ﷺ
وَاقْتِدَائُهَا بِهِ فِي
تَسْبِيحِهِ

لِلْجَمَادِ إِرَادَةٌ،
فَالْتَسْبِيحُ لَا
يَكُونُ إِلَّا بِهَا

(1) الْبِقَاعِيُّ، نَظْمُ الدُّرَرِ: 351/16.

(2) الْبِقَاعِيُّ، نَظْمُ الدُّرَرِ: 351/16.

(3) الْبِقَاعِيُّ، نَظْمُ الدُّرَرِ: 351/16.

(4) أَبُو الشَّعْوَدِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 568/4.

وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُوَ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ " [الإسراء: 44] (1).
 ويحتمل إرادة المجاز فتكون هنالك استعارة مكنية تخيلية، حيث
 شُبِّهَتِ الجبالُ بعاقلاتٍ يُسَبِّحْنَ اللَّهَ تعالى، وفي هذه الاستعارة
 تشبيهٌ حسيّ جامد بحسيّ حيّ متحرك، وبناءً عليه تكون الجبال
 المنقادَةُ المطيعةُ لأمره السَّائرةُ بسيره كأنَّها تُسَبِّحُ بحالها دونَ
 مقالها، ويترجَّحُ لدينا الأول؛ لأنَّ عذوبةَ صوته جَعَلَتِ الجماداتِ
 تُحِسُّ وتنتشي بقدرة الله تعالى، حتَّى إِنَّها أخذت بالتَّسبيح لله
 تعالى، وذلك أظهرُ دلالةً على قوله: ﴿دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾.

دلالة ذِكْرِ الْمُتَعَلِّقِ:

لِفَضِيلَةِ الْأَزْمِنَةِ
 وَالْأَمْكِنَةِ أَثَرٌ
 فِي فَضِيلَةِ مَا
 يَقَعُ فِيهِمَا مِنْ
 الْعِبَادَاتِ

في تَخْصِيصِ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ (العَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) بِالذِّكْرِ في قوله
 تعالى: ﴿يُسَبِّحَنَّ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ دلالةً على اخْتِصَاصِهِمَا بِمَزِيدِ
 شَرَفٍ، فَيَصْلُحُ ذَلِكَ الشَّرَفُ سَبَبًا لِتَعْيِينِهِمَا لِلصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ،
 فَإِنَّ لِفَضِيلَةِ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَمْكِنَةِ أَثَرًا فِي فَضِيلَةِ مَا يَقَعُ فِيهِمَا مِنْ
 الْعِبَادَاتِ (2)، كما أَنَّ تَخْصِيصَ الْوَقْتَيْنِ بِالذِّكْرِ دالٌّ على أَنَّ أَوَّلَ النَّهَارِ
 وَآخِرَهُ عَامِرَانِ بِالتَّنْزِيهِ وَالتَّسْبِيحِ لِلَّهِ تعالى، ويقتضي أَنْ يَكُونَ باقِيَ
 الْأَوْقَاتِ مَشْغُولًا بِهِمَا أَيْضًا.

بلاغة الطَّبَاقِ بَيْنَ أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ:

اِغْتِنَامُ الْأَوْقَاتِ
 فِي ذِكْرِ اللَّهِ
 دَأْبُ الْأَنْبِيَاءِ
 وَالصَّالِحِينَ

في قوله تعالى: ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ طَبَاقٌ بَدِيعٌ بَيْنَ أَوَّلِ النَّهَارِ
 وَآخِرِهِ، أَوْ بَيْنَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَصَلَاةِ الضُّحَى؛ دلالةً على استغراقِ
 تَسْبِيحِ الْجِبَالِ مَعَ دَاوُدَ ﷺ لِبَطْرِفِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ؛ إِذِ الطَّبَاقُ
 دالٌّ على وَقتَيْنِ بَيْنَهُمَا تَمَانُعٌ وَتَضَادٌّ، فَيَكُونُ التَّسْبِيحُ إِمَّا مُخْتَصًّا
 بِهِمَا أَوْ مُسْتَغْرَقًا لِجَمِيعِ الْأَوْقَاتِ، فَيَدُلُّ الطَّبَاقُ على تَرْشِيحِ إِرَادَةِ
 الدَّوَامِ وَالِاسْتِمْرَارِ.

(1) ابن عثيمين، تفسير سورة (ص)، ص: 91.

(2) الألوسي، روح المعاني: 23 / 236.

سِرُّ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ لِلْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ:

فَضِيلَةُ الْعِبَادَةِ
لَيْلًا

قُدِّمَ التَّسْبِيحُ «بِالْعَشِيِّ» عَلَى التَّسْبِيحِ بِ(الْإِشْرَاقِ) فِي قَوْلِهِ: «يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ»؛ لِبَيَانِ فَضْلِ التَّسْبِيحِ وَالِاسْتِغْفَارِ فِي هَذَا الْوَقْتِ، خُصُوصًا لِمَنْ اقْتَرَفَ ذَنْبًا فِي يَوْمِهِ، فَيَتُوبُ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ، فَلَا يُكْتَبَ عَلَيْهِ شَيْءٌ. وَأَيْضًا لِأَنَّهُ "لَمَّا كَانَ فِي سِيَاقِ الْأَوْبَةِ، وَكَانَ آخِرُ النَّهَارِ وَقْتُ الرُّجُوعِ لِكُلِّ ذِي إِلْفٍ إِلَى مَأْلَفِهِ، مَعَ أَنَّهُ وَقْتُ الْفُتُورِ وَالِاسْتِرَاحَةِ مِنَ الْمَتَاعِبِ؛ قَالَ: «بِالْعَشِيِّ»؛ أَيِ: تَقْوِيَةً لِلْعَامِلِ، وَتَذْكِيرًا لِلْغَافِلِ. وَلَمَّا كَانَ فِي سِيَاقِ الْفَيْضِ وَالتَّشْرِيفِ بِالْقُرْآنِ قَالَ: «وَالْإِشْرَاقِ»؛ أَيِ: فِي وَقْتِ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ عَنْ أَنْشَابِ النَّاسِ فِي الْأَشْغَالِ؛ وَاشْتِغَالِهِمْ بِالْمَأْكَلِ وَالْمَلَاذِّ، مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ؛ تَذْكِيرًا لَهُمْ؛ وَتَرْجِيْعًا عَنْ مَأْلُوفَاتِهِمْ إِلَى تَقْدِيسِ رَبِّهِمْ سُبْحَانَهُ، وَلَيْسَ الْإِشْرَاقُ طُلُوعَ الشَّمْسِ؛ إِنَّمَا هُوَ صَفَاؤُهَا وَضَوْوُهَا؛ وَشُرُوقُهَا طُلُوعُهَا"⁽¹⁾.

دَلَالَةُ الْبَاءِ الْجَارَةِ:

اِسْتِيعَابُ الذِّكْرِ
كُلِّ الْعَشِيِّ
وَالْإِشْرَاقِ

آثَرَ النِّظْمُ الْكَرِيمُ تَعْدِيَةً فَعَلَ التَّسْبِيحُ إِلَى اسْمِ الزَّمَانِ بِ(الْبَاءِ) الدَّالَّةَ عَلَى الْإِلْصَاقِ وَضَعًا فِي قَوْلِهِ: «يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ»، دُونَ حَرْفِ الظَّرْفِيَّةِ (فِي)، وَإِنْ كَانَتْ مُتَضَمِّنَةً لِمَعْنَاهَا؛ لِأَنَّهُ أُرِيدَ اِسْتِيعَابُ الْوَقْتِ، فَالْبَاءُ تَدُلُّ عَلَى الْاِسْتِيعَابِ وَالِإِحَاطَةِ بِوَقْتِي الْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ» [الحج: 29]، وَلِهَذَا لَا بَدَّ مِنْ اِسْتِيعَابِ الْبَيْتِ بِالطَّوَّافِ وَالِإِحَاطَةِ؛ إِذَا جَاءَتْ (الْبَاءُ) مَكَانَ (فِي) لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْاِسْتِيعَابِ، يَعْنِي: كُلُّ الْعَشِيِّ⁽²⁾. وَالْأَصْلُ فِي الْاِلْتِصَاقِ أَنْ يَكُونَ بِمَحْسُوسٍ، فَفِي الْاِلْتِصَاقِ بِالزَّمَانِ دَلَالَةٌ عَلَى اِسْتِمَالِ الزَّمَانِ عَلَى ذَلِكَ الْفِعْلِ اِسْتِمَالًا كَلِّيًّا، وَتَشْخِصُ الزَّمَانِ

(1) الْبِقَاعِي، نَظْمُ الذُّرَرْ: 351/16.

(2) ابْنُ عَثِيمِينَ، تَفْسِيرُ سُورَةِ (ص)، ص: 88.

بَجَلِّهِ كَالْمَحْسُوسِ مِنْ كَثَرَةِ التَّسْبِيحِ فِيهِمَا، حَتَّى صَارَا مَكَانًا يَلْتَصِقُ
الْحَدِثُ بِهِ.

سِرُّ التَّغَايِرِ:

بَقِيَ أَنَّ (العَشْيَ) اسْمٌ لِلزَّمَانِ الْمَخْصُوصِ، حَاصِلٌ بَعْدَ
(الإِعْشَاءِ) بِخِلَافِ (الإِشْرَاقِ)، فَإِنَّهُ مَصْدَرٌ يَدُلُّ عَلَى (الشَّرُوقِ)
دَلَالَةَ الْفِعْلِ عَلَى الْإِنْفِعَالِ، وَلَعَلَّ سِرَّ التَّغَايِرِ بَيْنَهُمَا التَّنَاسُبُ مَعَ
التَّسْخِيرِ لِلْجِبَالِ الَّذِي يُلْزَمُ مِنْهُ أَنْفِعَالُهَا، فَذَكَرَ الْعَشْيَ مَعَهَا دُونَ
الإِعْشَاءِ، وَمَعَ التَّسْبِيحِ لِلْجِبَالِ الَّذِي هُوَ فِعْلٌ، فَنَاسَبَهُ الْإِشْرَاقُ.

الموقع الإعرابي لقوله: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿الْجِبَالَ﴾، أَوْ مَفْعُولٌ
بِهِ لِفِعْلِ مَحْذُوفٍ دَلَّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ، وَأَنْتِصَابُ ﴿مَحْشُورَةً﴾ عَلَى الْحَالِ
مِنَ الطَّيْرِ، أَيِّ: وَسَخَّرْنَا الطَّيْرَ حَالَ كَوْنِهَا مَحْشُورَةً، أَيِّ: مَجْمُوعَةً
إِلَيْهِ، تُسَبِّحُ اللَّهَ مَعَهُ⁽¹⁾.

سِرُّ الْعُدُولِ عَنِ الْجُمْلَةِ الْحَالِيَّةِ:

عُدِلَ عَنِ الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ الْحَالِيَّةِ ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ إِلَى الْحَالِ الْمَفْرُودَةِ
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾، حَيْثُ لَمْ يُقَلَّ: (وَالطَّيْرَ يُحْشَرْنَ)؛
لَأَنَّهُ لَيْسَ الْمَقْصُودُ الدَّلَالَةُ عَلَى تَجَدُّدِ الْحَدِثِ، أَيِّ: الْحَشْرِ، مِثْلَمَا
كَانَ فِي التَّسْبِيحِ مِنْ إِرَادَةِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْحَدُوثِ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، وَلِذَا
جِيءَ بِهِ اسْمًا لَا فِعْلًا؛ لِلإِشَارَةِ إِلَى ثُبُوتِ الْحَشْرِ، "كَمَا أَنَّهُ لَوْ قِيلَ:
وَسَخَّرْنَا الطَّيْرَ يُحْشَرْنَ، عَلَى أَنَّ الْحَشْرَ يَوْجَدُ مِنْ حَاشِرِهَا شَيْئًا
بَعْدَ شَيْءٍ، وَالْحَاشِرُ هُوَ اللَّهُ ﷻ لَكَانَ خَلْفًا؛ لِأَنَّ حَشْرَهَا جُمْلَةً وَاحِدَةً
أَدْلُ عَلَى الْقُدْرَةِ"⁽²⁾.

حَالُ تَسْبِيحِ
الطَّيْرِ مَعَ دَاوُودَ



تَجَدُّدُ التَّسْبِيحِ،
وِثُوبُ الْحَشْرِ

(1) الْوَاجِدِيُّ، التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ: 173 / 19، وَشَيْخُ زَادَةَ، حَاشِيَةُ عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ: 189 / 7،
وَالشُّوكَانِيُّ، فَتْحُ الْقَدِيرِ: 560 / 4.

(2) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 81 / 4، وَشَيْخُ زَادَةَ، حَاشِيَةُ عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ: 189 / 7.

الإسناد إلى الفاعل والمفعول:

نلاحظُ أَنَّ النَّظْمَ الكريمَ أَسَدَ التَّسْبِيحِ إِلَى الجبالِ، وَصَرَّحَ
بكونها فاعِلَ التَّسْبِيحِ، لَكِنَّهُ أَضْمَرَ فاعِلَ الحَشْرِ وجعلَ الطَّيْرَ مفعولاً
للحشر في قوله تعالى: ﴿الْجِبَالُ مَعَهُ يُسَيِّجْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝١٨﴾
وَالطَّيْرَ مُحْشُورَةً؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أبلغُ في التَّسْخِيرِ وأَوْضَحُ؛ إِذِ التَّسْخِيرُ
جعلُ الجمادِ يتكلَّمُ في الزَّمنِ، والحيوانَ المعروفَ بأفراذه الكثيرةِ
يجتمعُ في المكانِ لسماعِ تسبيحِ داوودَ ﷺ - وَهَذِهِ مُعْجِزَةٌ لَهُ لِأَنَّ
شَأْنَ الطَّيْرِ النُّفُورُ مِنَ الْإِنْسِ (١) - لِيُشَدَّ الجميعُ معه أحلى كلماتِ
التَّقْدِيسِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَتَتَلَمَّسُ فِي لَفْظِ ﴿مُحْشُورَةً﴾ معنى البعثِ
وَالْإِحْيَاءِ والجمعِ من أَمَكْنَةٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَكَأَنَّ تَسْبِيحَ داوودَ ﷺ وصلَّها،
فاجتمعتْ له وحضرتْ لديه طائفةٌ مُنْقَادَةٌ، وَذَلِكَ دليلاً للقُوَّةِ والتَّأثيرِ
في صَوْتِهِ وَلَحْنِهِ الجميلِ، عِنْدَمَا يُقَدِّسُ اللَّهُ تَعَالَى وَيُسَبِّحُهُ وَيُعْبُدُهُ.

جميعُ الخلائقِ
تُعَلِّنُ التَّقْدِيسَ
والتَّنْزِيهَ

الطَّبَاقُ الْجَائِي وَالْخَفِيُّ بَيْنَ الْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ:

كما تَحَقَّقَ الطَّبَاقُ بَيْنَ (العِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) الدَّالِّينِ عَلَى شمولِ
التَّنْزِيهِ لِلزَّمانِ كُلِّهِ، يَتَحَقَّقُ الطَّبَاقُ بَيْنَ ذِكْرِ ﴿الْجِبَالِ﴾ باعتبارِ
كونِها جماداً، وَذِكْرِ (الطَّيْرِ) باعتبارِ كونِها حيواناً مُتَحَرِّكاً، وَبَيْنَ
(الزَّمانِ) المُعَبَّرِ عَنْهُ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ، وَ(المكانِ) الَّذِي يَسْتَلْزِمُهُ
الحَشْرُ والاجتماعُ، وَفِي هَذَا الطَّبَاقِ بَيَانٌ صَرِيحٌ عَنِ كَمالِ التَّسْخِيرِ
المستلزمِ كَمالِ الإِكْرَامِ والتَّأْيِيدِ والقُوَّةِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهُ أَوَّابٌ لِلَّهِ
تَعَالَى، كَثِيرُ الرَّجُوعِ إِلَى مَوْلَاهُ الْغَنِيِّ.

التَّوَابُونَ هُمْ
الْأَقْوِيَاءُ حَقِيقَةً

دلالة الفصل في قوله: ﴿كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ﴾:

قوله تعالى: ﴿كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ اسْتِثْنَانُ مُقَرَّرٌ لِمَضْمُونِ مَا قَبْلَهُ،
مُصَرَّحٌ بِمَا فَهِمَ مِنْهُ إِجْمالاً مِنْ تَسْبِيحِ الجبالِ والطَّيْرِ (٢) دالٌّ عَلَى

الجزاء من
جنس العمل

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 229 / 23.

(٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 567 / 4.

أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جَنْسِ الْعَمَلِ؛ فَهُوَ كَثِيرُ الرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالْجِبَالُ وَالطَّيْرُ كَثِيرَةُ الرَّجُوعِ إِلَيْهِ، وَفِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَ رَجَاءً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مُعَلِّناً كِمَالَ الْخُضُوعِ لَهُ؛ فَإِنَّ الْكَائِنَاتِ بِأَنْوَاعِهَا وَأَشْكَالِهَا تَخَضَعُ لَهُ وَتَنْقَادُ مُسَخَّرَةً لِأَمْرِهِ، تَوْفِيقًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَإِكْرَامًا.

تصدير الجملة الاسمية بأداة الاستغراق:

صُدِّرَتِ الْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ لَهْ أَوَّابٌ﴾ بِكَلِمَةِ ﴿كُلُّ﴾، وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى أَصْلٍ مَعْنَاهَا مِنَ الشُّمُولِ وَالْعُمُومِ الْعُرْفِيِّينَ. أَيْ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْجِبَالِ وَالطَّيْرِ يَرْجِعُ إِلَى دَاوُودَ خَاضِعًا وَمُنْقَادًا وَمُطِيعًا؛ لِأَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالتَّوْبَةِ وَالْعِبَادَةِ.

دلالة التنكير في قوله: ﴿كُلُّ لَهْ أَوَّابٌ﴾:

دَلَّ التَّنْكِيرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ لَهْ أَوَّابٌ﴾ عَلَى الْعُمُومِ وَالتَّفْخِيمِ، إِذِ التَّنْوِينُ الْأَوَّلُ عِوَضٌ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ الْمَحذُوفِ إِيْجَازًا وَتَعْمِيمًا. وَالتَّقْدِيرُ: كُلُّ الْمَحْشُورَةِ لَهُ أَوَّابٌ، أَيْ: كَثِيرُ الرَّجُوعِ إِلَيْهِ، وَالتَّنْوِينُ الثَّانِي أَفَادَ التَّفْخِيمَ، وَنَلَحَظُ التَّقَابُلَ بَيْنَ قَوْلِهِ فِيمَا سَبَقَ: ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ وَقَوْلِهِ هُنَا: ﴿كُلُّ لَهْ أَوَّابٌ﴾؛ حَيْثُ عَبَّرَ سَابِقًا عَنْ دَاوُودَ ﷺ بِالضَّمِيرِ الدَّالِّ عَلَى الْإِنْحِصَارِ وَالتَّعْيِينِ، وَعَبَّرَ هُنَا عَنِ الْخَلَائِقِ مِنَ الْجِبَالِ وَالطَّيْرِ بِلَفْظِ النِّكْرَةِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ كِمَالَ التَّكْرِيمِ لِلْعَبْدِ أَنْ تَخَضَعَ لَهُ الْخَلَائِقُ مُجْتَمِعَةً، فَإِنَّ كَانَ دَاوُودَ ﷺ بِذَاتِهِ رَاجِعًا أَوَّابًا، فَإِنَّ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ الْمَذْكُورَةِ تَرْجِعُ لَهُ إِكْرَامًا.

مزجج الضمير في ﴿لَهْ﴾:

يَحْتَمِلُ مَرْجِعُ الضَّمِيرِ ﴿لَهْ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ لَهْ أَوَّابٌ﴾ وَجْهَيْنِ؛ الْأَوَّلُ: أَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَالْمَعْنَى: كُلُّ مَنْ دَاوُودَ ﷺ وَالْجِبَالِ وَالطَّيْرِ مُطِيعٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَاللَّامُ لِلتَّقْوِيَةِ لَا غَيْرِ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى ﴿دَاوُودَ﴾، وَحِينَئِذٍ تَحْتَمِلُ (اللَّامُ) أَنْ تَكُونَ لِلتَّعْدِيَةِ

كُلُّ الْخَلَائِقِ
تَخَضَعُ لِلدَّوَّابِّ

كِمَالُ التَّكْرِيمِ
لِلْعَبْدِ أَنْ تَخَضَعَ
لَهُ الْخَلَائِقُ
مُجْتَمِعَةً

طَاعَةُ الْجِبَالِ
وَالطَّيْرِ لِدَاوُودَ
ظَاهِرًا وَلِلَّهِ
تَعَالَى بَاطِنًا

والتَّقْوِيَّة، فتكون الطَّيْرُ والجبال آيَةً لداوود ﷺ، راجعةً إليه مسبحةً بتسخيرِ الله تعالى إياها له. ويحتملُ أَنْ تكونَ للتَّعْلِيلِ، فتكون آيَةً لله تعالى لِأَجْلِ تَسْبِيحِ داوودَ إِكْرَامًا له. والذي يترجَّحُ لدينا الاحتمالُ الثَّانِي؛ لأنَّ الآيةَ مسوقةً لإظهارِ قوَّةِ داوودَ وكرامته عند الله تعالى، وأنَّ تكونَ اللَّامُ للتَّقْوِيَّة؛ لأنَّ كمالَ الإكرامِ أَنْ تُؤَوَّبَ الكائناتُ له إِكْرَامًا بتسخيرِ الله تعالى لها.

سِرُّ الإفراد في ﴿أَوَّابٌ﴾:

عبر النِّظْمُ الكريم عن الخبر بلفظِ الإفراد في قوله: ﴿كُلُّ لَهْ﴾ **﴿أَوَّابٌ﴾**؛ للإشارة إلى شِدَّةِ زَجَلِهَا بالتَّأَوُّبِ وَعَظَمَتِهِ، وإفادة الحُكْمِ على كُلِّ فَرْدٍ، ولو جُمِعَ لَطَرَقَهُ احتمالُ أَنَّ الحُكْمَ على المَجْموعِ يُقَيَّدُ الجَمْعَ، فَكَأَنَّ داوودَ ﷺ يَفْهَمُ تَسْبِيحَ الجبالِ والطَّيْرِ، وَيُنْقَادُ لَهُ كُلُّ مِنْهُمَا إِذَا أَمَرَهُ بِالتَّسْبِيحِ؛ إِذْ كُلُّ مَنْ تَحَقَّقَ بِحَالِهِ سَاعَدَهُ كُلُّ شَيْءٍ⁽¹⁾.

نُكْتَةُ التَّقْدِيمِ لِلجَارِّ والمَجْرُورِ:

عبر النِّظْمُ الكريم بالجَارِّ والمَجْرُورِ مُقَدِّمًا في قوله: ﴿لَهْ أَوَّابٌ﴾ على مُتَعَلِّقِهِ؛ لِلإِهْتِمَامِ بِالضَّمِيرِ المَجْرُورِ، وإرادة الاختصاصِ لداوودَ ﷺ بهذه المعجزةِ الفريدة، إِذْ كَانَ من معجزاته ﷺ التي أَيْدَهُ اللهُ بها، أَنَّهُ مَتَى مَا سَبَّحَ وَصَلَّى اللهُ تعالى؛ فَإِنَّ الجبالَ والطَّيُورَ تُسَبِّحُ مَعَهُ، وتَجْتَمِعُ لديه لِسَمَاعِ تَسْبِيحَاتِهِ وصلواتِهِ.

لطيفة العدولِ المَادِّيِّ والصِّيغِي:

في النِّظْمِ الكريم وَقَعَ عُدُولَانِ؛ أَحَدُهُما: مَادِّيٌّ يَتَعَلَّقُ بحروفِ الكلمة؛ إِذْ لم يقل: (مَسْبُوحٌ أَوْ مُرْجَعٌ)، والآخرُ: في الصِّيغَةِ يَتَعَلَّقُ بهيئةِ الكلمة؛ إِذْ لم يقل: (يؤوَّب)؛ لأنَّ مَادَّةَ ﴿أَوَّابٌ﴾ تحتلُّ معنيين؛ أَحَدُهُما: مُسَبِّحٌ؛ إِذِ الأَوَّابُ هنا الرُّجُوعُ إِلَى التَّسْبِيحِ، والرَّجَّاعُ إِلَى

الإِفْرَادُ
لِإِحْتِرَاسٍ،
وإِزَالَةِ الْإِلتِبَاسِ

تَأْيِيدُ الْأَنْبِيَاءِ
بِالْمُعْجَزَاتِ قُوَّةً
مُخْتَصَّةً بِهِمْ

التَّنَوُّيَّةُ بِأَهْمِيَّةِ
التَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

(1) البَيْضَوِيُّ، أنوار التَّنْزِيلِ: 26/5، والبِقَاعِيُّ، نَظْمُ الدُّرَرِ: 353/16.

التَّسْبِيحَ مُسَبِّحٍ. وَوُضِعَ الْأَوَابُ مَوْضِعَهُ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تُرْجَعُ التَّسْبِيحَ فِيهِ مَسْبُوحَةً⁽¹⁾، وَثَانِيهِمَا: الرَّجُوعُ وَالْانْقِيَادُ وَالطَّاعَةُ؛ وَسَوَاءٌ كَانَتْ مَسْبُوحَةً أَوْ خَاضِعَةً فَإِنَّ مَادَّةَ الْأَوَابِ تَدُلُّ عَلَى الرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَيَكُونُ فِي اخْتِيَارِ الْمَادَّةِ تَتْوِيهُ بِشَأْنِ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ وَالْخُضُوعِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَلِأَنَّ صِيغَةَ «أَوَابٍ» مِنْ صِيغِ الْمَبَالِغَةِ، فَتُضِيدُ كَثْرَةً وَمَبَالِغَةً فِي الْخُضُوعِ وَالتَّوْبَةِ عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِمْرَارِ وَالتَّجَدُّدِ، بِخِلَافِ الْفِعْلِ (يُؤْوِبُ) الدَّالُّ عَلَى اسْتِمْرَارِ الْخُضُوعِ مِنْ دُونِ مَبَالِغَةٍ فِيهِ.

دلالة الجنس في «أَوَابٍ»:

مَنْ آبَ إِلَى
الهِ آبَتْ لَهُ
لِلْمَخْلُوقَاتِ كَرَامَةٌ

اشْتَمَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى هُنَا عَلَى كَلِمَةِ «أَوَابٍ» فِي قَوْلِهِ: «كُلُّ لَهْوٍ أَوَابٍ»، وَهِيَ غَيْرُ «أَوَابٍ» فِي قَوْلِهِ قَبْلُ: «إِنَّهُ أَوَابٍ»، وَهَذَا مِنَ الْجِنْسِ التَّامِّ؛ إِذِ اتَّحَدَ اللَّفْظَانِ وَاخْتَلَفَ الْمَعْنِيَانِ؛ لِلإِشَارَةِ إِلَى أَهْمِيَّةِ الرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، الَّذِي يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ الْخُضُوعُ وَالْمُوَافَقَةُ مِنَ الْخَلَائِقِ، فَلَمْ تَتَكَرَّرِ الْفَاصِلَةُ⁽²⁾، إِذِ الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا قَبْلَهُ أَنَّهُ يَدُلُّ فِي أَحَدٍ مَعْنِيَهُ السَّابِقِينَ عَلَى الْمُوَافَقَةِ فِي التَّسْبِيحِ، وَالْمُدَاوِمَةِ عَلَيْهِ، وَالسَّابِقُ يَدُلُّ عَلَى الرَّجُوعِ وَالْإِنَابَةِ لِلَّهِ تَعَالَى⁽³⁾.

(1) أَبُو السُّعُود، إرشاد العقل السليم: 4/ 567، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 379.

(2) ابن عاشور، التحرير، والتنوير: 23/ 229.

(3) شيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاوي: 7/ 189، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 380.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م.ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-641-51-3

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»